

ابتسم..
ثم ابتسم..
ثم ابتســ... ثم ابتـ...

أعرفه منذ سنين.. فهو أحد زملائي في عملي.. على كل حال.. لكن هل تصدق أنني إلى الآن لا أدري هل نبتت له أسنان أم لا!! دائم التجهم.. والعبوس.. وكأنه إذا ابتسم نقص عمره.. أو قلَّ ماله!!

قال (جرير بن عبدالله البجلي): ما رآني ﷺ إلا تبسم في وجهي..

الابتسامة أنواع.. ومراتب.. فمنها البشاشة الدائمة.. أن يكون وجهك صبوحاً مبتهجاً دائماً.. فلو كنت مدرساً ودخلت الفصل على طلابك.. فالقهم بوجه بشوش.. ركبت طائرة.. ومشيت في الممر والناس ينظرون إليك كن بشوشاً.. دخلت بقالة.. أو محطة وقود.. مددت له الحساب.. ابتسم.. ولو كنت في مجلس.. ودخل شخص وسلم بصوت عال.. ومرَّ بنظره على الجالسين.. ابتسم.. ولو دخلت على مجموعة.. وصافحتهم.. ابتسم.. وعموماً:

الابتسامة لها من التأثير الكبير في امتصاص الغضب والشك والتردد.. ما لا يشاركها غيرها.. البطل هو الذي يستطيع التغلب على عواطفه.. ويتبسَّم.. حتى في أحلك المواقف..

كان (أنس بن مالك) رضي الله عنه يمشي مع النبي ﷺ يوماً.. والنبي ﷺ عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية.. فلحقهما أعرابي.. أقبل هذا الأعرابي يجري وراء النبي ﷺ يريد أن يلحق به.. حتى إذا اقترب منه.. جبذه بردائه جبذة شديدة.. فتحرك الرداء بعنف على رقبة النبي ﷺ..

قال (أنس): حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ.. قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته.. فماذا يريد هذا الرجل؟!

لعـل بيته يحترق وأقبـل يريد معونة.. أو أحاطت بهم غارة من المشـركين.. فأقبل فزعاً يريد نصرة.. اسمع ماذا يريد..

قال: يا محمد.. (لاحظ لم يقل: يا رسول الله).. قال: يا محمد.. مُر لي من مال الله الذي عندك..

فالتفت رسول الله ﷺ.. ثم ضحك.. ثم أمر له بعطاء..

نعـم.. كان ﷺ بطـلاً لا تسـتفزه مثل هـذه التصرفات.. ولا يعاقـب أو تثور أعصابه على التافهات.. كان واسع البطان.. قوياً يضبط أعصابه.. دائم الابتسامة حتى في أحلك الظروف.. يفكر في عواقب الأمور قبل أن يفعلها..

وماذا يفيد لو أنه صرخ بالرجل أو طرده! هل سيشـفى جرح عنقه! أو يصلح أدب الرجل! كلا.. إذن ليس مثل الصبر والتحمل..



نعـم بعض الأمور نثور لهـا ونغضب.. وعلاجها شـيء آخـر تمامـاً.. نعالجهـا بالرفق..واللـين.. والتبسـم.. وإحسـان الظـن.. وكظـم الغيـظ.. وكسب الناس..

وصـدق ﷺ لما قـال: «ليس الشـديد بالصُّرَعَة.. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»..

كان النبي الكريم ﷺ.. يجذب الناس بالتبسـم والبشاشـة.. خرجو إلى غزوة (خيبر).. وفي أثناء القتال.. وقع من حصن اليهود جراب فيه شحم.. قربة كاملة مملـوءة سمناً.. التقطه (عبدالله بن مغفل) رضي الله عنه وحمله على عاتقه فَرِحاً ومضى به إلى رحله وأصحابه.. فلقيه الرجل المسئول عن جمع الغنائم وترتيبها.. فجذب الجراب إليه..

- وقال: هات هذا نقسمه بين المسلمين..
- فتعلق به (عبد الله): لا والله.. لا أعطيكه.. أنا أصبته..

➤ قال: بلى..

وجعلا يتجاذبان الجراب.. فمرَّ بهما رسول الله ﷺ.. فرآهما.. وهما يتجاذبان الجراب.. فتبسم ﷺ ضاحكاً.. ثم قال لصاحب المغانم:

لا أبالك.. خَلِّ بينَهُ وبيَنهُ..

فتركـه الرجل في يد (عبدالله).. فانطلـق به (عبدالله) إلى رحله وأصحابه.. فأكلوه..

وأخيراً.. تبسمك في وجه أخيك صدقة..





الخطوط الحمر...

كان من طلابي في الجامعة.. كان واسع الثقافة.. حريصاً على تكوين علاقات مع الناس.. لكنه كان ثقيل الدم عليهم.. جاءني يوماً..

- **وقال:** يا دكتور.. زملائي يغضبون مني دائماً.. لا يتحملون مزاحي..

قلت في نفسي: أنا لا احتملك ساكتاً.. فكيف أحتملك متكلماً..؟! خاصة إذا كنت تستخف دمك وتمزح..!

- **سألته:** لماذا لا يحتملون مزاحك؟! أعطني مثالاً..

- **قال:** عطس أحدهم فقلت: الله يلعنك.. (ثم سكتُّ).. فلما غضب.. أكملت قائلاً: يا إبليس.. ويرحمك يا فلان..!!

آآآه.. ما أثقل مزاحه!! مسكين كان يظن نفسه بذلك.. خفيف الدم!!

الناس مهما قبلوا مزاحك ومداعباتك.. إلا أنه تبقى هناك خطوط حمراء لا يحبون أن تتعداها.. خاصة إذا كان ذلك أمام الآخرين..

بعض الناس لا يراعي ذلك.. فتجد أنه يعتدي على حاجاتهم.. فمثلاً من باب (الميانة) يأخذ هاتفك الجوال ويتصل به كما يريد..

أو ربما أرسل رسائل من هاتفك الشخصي إلى أشخاص أنت لا ترغب أن يظهر رقم هاتفك عندهم..

أو يأخذ سيارتك بغير إذنك.. أو يحرجك بطلبها حتى تأذن على مضض..

أو تجد مجموعة طلاب يسكنون في شقة واحدة.. يستيقظ أحدهم ليذهب إلى جامعته.. فيجد أن معطفه قد لبسه فلان.. وحذاءه في رجل فلان..

ومن تعدي الخطوط الحمراء أنك.. تجد بعض الناس يُحرج صاحبه بمزحةٍ ثقيلةٍ أو سؤال محرج في مجلس عام..

والشخص مهما بلغ من المحبة لك.. إلا أنه يبقى بشراً يرضى ويغضب.. ويفرح ويسخط..

لما أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة راجعاً من (تبوك).. قَدِم عليه في ذلك الشهر (عروة بن مسعود الثقفي).. وكان سيداً جليل القدر.. رفيع المكانة عند قومه (ثقيف)..



فأدرك النبي ﷺ قبل أن يصل إلى المدينة.. فأسلم.. وسأله أن يرجع إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام..

فخاف عليه ﷺ من أذى قومه..

- وقال له: إنهم قاتلوك..

وعرف ﷺ أن قبيلة (ثقيف) فيهم نخوة الامتناع.. والصرامة في التعامل.. حتى لو كان مع رئيسهم..

- فقال (عروة): يا رسول الله ﷺ أنا أحب إليهم من أبكارهم.. وأبصارهم..

وكان محبباً مُطاعاً فيهم..

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه.. لعظم منزلته فيهم..

فلما وصل إلى ديار قومه.. رقى على مرتفع وصاح بهم حتى اجتمعوا.. وهو سيدهم..



فدعاهم إلى الإسلام.. وأظهر لهم أنه أسلم.. وجعل يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله..

فلما سمعوا منه ذلك.. صاحوا.. وثاروا أن يتركوا آلهتهم.. ورموه بالنبل من كل جهة.. حتى وقع صريعاً رضي الله عنه.

فأقبل إليه أبناء عمه.. وهو ينازع الموت.. وقالوا: ياعروة: ما ترى في دمك؟ يعني: هل نأخذ بثأرك ونقتل من قتلك؟! فقال: كرامة أكرمني الله بها.. وشهادة ساقها الله إليَّ.. فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ.. فلا تقتلوا لأجلي أحداً.. ولا تأخذوا بثأري من أحد..

فقيل إن النبي ﷺ.. لما بلغه خبر مقتله.. قال فيه: إن مثله في قومه.. كمثل صاحب ياسين في قومه.. رضي الله عنه..

فانتبه!



الناس لهم أحاسيس مهما بلغت في القرب منهم فلا تجترىء عليهم كثيراً.. من خلال مزاحك.. أو تعاملك.. ابق بعيداً عن الخط الأحمر..

لاتجرحهم مهما بلغت منزلتك في قلوبهم.. وإن كانوا في منزلة الأخ والولد..

لذا نبه النبي ﷺ على ذلك.. فنهى عن ترويع المؤمن..

كان ﷺ يوماً يسير مع أصحابه.. وكان كل واحد منهم معه متاعه.. سلاحه.. فراشه.. طعامه.. نزلوا منزلاً.. فنام رجل منهم.. فأقبل صاحبه إلى حبل معه فأخذه.. مازحاً..

فاستيقظ الرجل.. فوجد متاعه ناقصاً.. ففزع.. وأخذ يبحث عن حبله.. فقال ﷺ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً ..(١)

وفي يوم آخر.. كانوا يسيرون مع النبي ﷺ في مسير.. فنعس رجل وهو على راحلته.. فغافله صاحبه وانتزع سهماً من كنانته.. فشعر الرجل بمن يعبث بسلاحه.. فانتبه فزعاً مذعوراً.. فقال ﷺ: لا يحل لرجل ان يروع مسلماً..(٢)

ومثله الذي يمزح معك ويظن أنه يسرُّك وهو يضرُّك بل يملأ قلبك فزعاً وغماً.. فيراك أوقفت سيارتك عند بقالة – مثلاً – وهي تشتغل فيأتي ويقودها ويذهب بها بعيداً.. ويوهمك أنها سرقت.. مازحاً.. قد يجاملك صاحبك ويضحك أحياناً على مزحةٍ مروعة.. لكنه متألم..

ولربما صبر الحليم على الأذى ... وفؤاده من حره يتأوه
ولربما شكل الحليم لسانه ... حذر الكلام وإنه لمفوه

وجهة نظر..

كل ما زاد عن حده..
انقلب ضده..
وكم مزحة انتهت شجاراً !!

(١) رواه أبو داود (صحيح).

(٢) رواه الطبراني وغيره ورجاله ثقات.

حفظ السر



اشتهر قديماً: كل سرٍ جاوز الاثنين.. شاع..

ومن اللطائف أن أحدهم سُئل: من الاثنين؟ فأشار إلى شفتيه.. وقال: هذان!!

خلال أكثر من خمس وثلاثين سنة مضت من عمري.. لا أذكر أني همست في أذن أحد من الناس بسرّ.. واستأمنته أياه.. إلا قسم أيماناً مغلّظة أن سري في بئر ليس له قاع!!

ولا أذكر أن أحداً منهم صار صريحاً وقال بعدما سمع سري: يا محمد.. اسمح لي لا أستطيع أن أكتمه..

بل كل شخص تحدثه بسرك يضرب بيده صدره.. ويقول: والله لو وضعوا الشمس في يميني.. والقمر في شمالي.. أو السيف على رقبتي.. على أن أخبر بسرّك.. ما أخبرت!!

ثم إذا اطمأننت ووثقت.. وكشفت له أسرارك.. تصبّر شهرين أو ثلاثة.. ثم حدث به.. فلا يزال سرك يتناقل حتى يصلك..

وأنت المخطىء ابتداءاً سرك لا ينبغي أن يجاوز شفتيك.. لا تكلف الناس ما لا يطيقون..

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

جربت كثيراً من الناس.. فوجدتهم كذلك.. والمشكلة أنك تأتيهم على سبيل الاستشارة.. فيشيرون عليك.. ثم يفضحون سرك.. فيسقطون من عينك.. ويصبحون من أبغض الناس إليك..

ومـن أعجب ما في التاريخ: أنه قبـل معركـة (بدر).. لما سمع النبي ﷺ بقافلة (قريش) مقبلة من الشام وأراد قتالها.. خرج ﷺ إليها مع أصحابه..

فلما شـعر بهم (أبو سـفيان) قائد القافلة.. اسـتأجر رجلاً اسمه (ضمضم بن عمرو الغفاري).. وقال اذهب وأخبر قريشـاً بالخبر.. فانطلق (ضمضم) مسـرعاً إلى (مكة).. كان وصوله (مكة) يحتاج أن يسير أياماً.. وأهل (مكة) لا يدرون عن شيء من ذلك..



وفي ليلة من الليالي رأت (عاتكة بنت عبدالمطلب) في منامهـا.. رؤيا أفزعتها.. فلمـا أصبحت بعثت إلى أخيها (العباس بن عبدالمطلب)..

- **فقالـت له:** يـا أخـي.. والله لقـد رأيت الليلـة رؤيا أفزعتـني.. وتخوفـت أن يدخـل على قومـك منها شـر ومصيبة.. فاكتم عليّ ما أحدثك.. ولا تحدث به أحداً..

- **قال لها:** نعم.. وما رأيت؟

- **قالـت:** رأيـت راكباً أقبل على بعير.. حتى وقف بـوادي (الأبطح).. ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث..!

(أي: أذهبوا أيها الغادرون إلى مواضع موتكم خلال ثلاثة أيام!)..

قالـت: فـأرى الناس قـد اجتمعوا إليـه.. ثم مضـى فدخل المسـجد والناس يتبعونه.. فبينما هم حوله.. إذ صعد به بعيره فوق الكعبة.. ثم صرخ بمثلها: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث.. ثم صعد به بعيره على رأس جبل أبـي قبيـس.. فصرخ بمثلها: انفـروا يا آل غدر إلى مصارعكـم في ثلاث.. ثم أخـذ صخرة فقذفها من أعلـى الجبل.. فأقبلت تهوي من فوق الجبل.. حتى إذا كانت بأسـفل الجبل تكسرت وقسّـمت إلى حصى صغار.. فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته كسرة من الصخرة..

- فاضطرب (العباس) وقال: واللّه إن هذه لرؤيا!

ثم خشي أن تنتشر فيصيبه أذى.. فقال لها محذراً:

وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد..

ثم خرج (العباس) منشغل البال بأمر هذه الرؤيا.. فلقي (الوليد بن عتبة) وسط الطريق.. وكان له صديقاً.. فحدثه بالرؤيا.. وقال له: اكتمها.. فلا تخبر بها أحداً..



فمضى (الوليد).. فلقي ابنه (عتبة) فحدثه بها!!

ثم لم يمض سويعات.. حتى حدّث بها (عتبة) بعض أصحابه..

ثم تناقلها الناس.. وفشا الحديث بها في أهل (مكة).. حتى تحدثت بها (قريش) في مجالسها..

وفي الضحى ذهب (العباس) ليطوف بالكعبة.. فإذا (أبو جهل) جالس في رَهْط من (قريش).. في ظل الكعبة.. يتحدثون برؤيا (عاتكة)!!

فلما رأى (أبو جهل) (العباس) قال: يا أبا الفضل.. إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا..

تحيَّر (العباس) ماذا يريد منه (أبو جهل).. لكنه استبعد أن يسأله عن رؤيا (عاتكة).. فقضى (العباس) طوافه ثم توجه إلى مجلس (أبي جهل).. فلما أقبل إليهم (العباسَ) وجلس معهم..

- قال له (أبو جهل): يا بني (عبدالمطلب).. متى حدثت فيكم هذه النبية؟
- قال: وما ذاك؟
- قال: تلك الرؤيا التي رأت (عاتكة)..

◄ ففزع العباس وقال: وما رأت؟

◄ قال: يا بني (عبدالمطلب).. أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت (عاتكة) في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث.. فسننتظر بكم ثلاثة أيام.. فإن يك حقاً ما تقول.. فسيكون.. وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب..

فاضطرب (العباس).. وما رد عليه شيئاً.. وجحد الرؤيا.. وأنكر أن تكون رأت شيئاً.. ثم تفرقوا.. فلما دخل (العباس) بيته.. لم تبق امرأة من بني (عبدالمطلب).. إلا جاءت إليه غاضبة .. تقول:

◄ أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم.. ثم قد تناول النساء وأنت تسمع.. أما فيكم حميّة..

◄ فاحتمى (العباس).. وثار.. وقال: والله.. لئن عاد (أبو جهل) إلى مثل كلامه.. لأفعلن وأفعلن..

فلما كان اليوم الثالث من رؤيا (عاتكة).. ذهب (العباس) إلى المسجد.. وهو مغضب.. فلما دخل المسجد رأى (أبا جهل).. فمشى نحوه يتعرضه ليعود لبعض ما قال فيقع به.. فإذا بأبي جهل يخرج من باب المسجد يشتدّ مسرعاً.. فعجب (العباس) من سرعته..!! فقد كان مستعداً لخصومة وعراك.. فقال (العباس) في نفسه: ماله لعنه اللّه؟! أكلُّ هذا خوف مني أن أشاتمه؟!

وإذا (أبو جهل) قد سمع صوت (ضمضم بن عمرو الغفاري) الذي أرسله (أبو سفيان) ليستعين بأهل (مكة).. وإذا (ضمضم) يصرخ في الوادي واقفاً على بعيره.. قد جدع أنف بعيره.. والدم يسيل على وجه البعير.. وقد شق (ضمضم) قميصه وهو يقول:

يا !!!! معشر قريش اللطيمة.. اللطيمة.. أموالكم مع (أبي سفيان) قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها.. ثم صاح بأعلى صوته: الغوث.. الغوث..

عندها تجهزت (قريش) وخرجت.. وكان من أمرها في معركة بدر ما كان من الهزيمة والذل..

فتأمل كيف انتشر السر في لمحة عين.. مع قوة الحرص وشدة الاستئمان..!!

ومن نَشْر السرِّ أيضاً.. أن (عمر) رضي الله عنه لما أسلم.. أراد أن ينشر الخبر.. فأقبل إلى رجل منهم.. هو أعظمهم نشراً للاشاعة.. فقال:

- يا فلان.. إني محدثك بسر.. فاكتم عني..!
- قال: ماسرك؟
- قال: أني قد أسلمت.. فانتبه.. لا تخبر أحداً..



ثم تولى عنه (عمر).. فلما كاد يغيب عنه.. حتى جعل الرجل يطوف بالناس ويقول لكل واحد منهم:

أعلمت أن (عمر) أسلم..!! أعلمت أن (عمر) أسلم..!!

عجباً!! وكالة أنباء متنقلة..

وفي يوم من الأيام بعث النبي ﷺ (أنساً) في حاجة.. فمرَّ بأمه..

- فسألته: إلى ماذا أرسلك النبي ﷺ؟
- فقال: والله.. ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ..

لذا كان النبي ﷺ يربي أصحابه على حفظ الأسرار ليكونوا على قدر المسئولية.. هكذا كان (أنس) وهو صغير.. في شدة حفظه للسر.. وأنَّى لك اليوم أن تجد مثل (أنس)..

قالت (عائشة) - رضي الله عنها -..

أقبلت فاطمة تمشي.. كأن مشيتها مشية النبي ﷺ.. فقال النبي ﷺ: مرحباً بابنتي.. ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - .. ثم أسرَّ إليها حديثاً.. فبكت!!

فقلت لها: لم تبكين.. ثم أسَّر إليها حديثاً .. فضحكت.. فقلت: ما رأيت كاليوم.. فرحاً أقرب من حزن.. فسألت فاطمة عما قال لها النبي ﷺ؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ..

حتى قُبض النبي ﷺ.. فسألتها؟ فقالت: أسرَّ إليَّ: إن جبريل كان يعارضني[١] القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين.. ولا أراه إلا حضر أجلي.. وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي.. فبكيت.. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة.. أو نساء المؤمنين.. فضحكت لذلك..

فأنت بمقدار حفظك للسرّ يثق فيك الناس ويفتحون لك قلوبهم.. ويرتفع قدرك عندهم.. ويشعرون أنك أهل للثقة والأمانة.. فعوّد نفسك أن تمسك أسرارك لنفسك.. وتحفظ أسرار الآخرين..



(١) يعارضه القرآن: يراجع القرآن معه.



قضاء الحاجات

لما بدأتُ في دراسة الماجستير.. اطلعت على عدد أوسع من كتب الفرق والطوائف.. من بين هذه المذاهب (المذهب البراجماتي).. وترجمته بالعربية: المذهب النفعي..



لَمّا تبحرت في دراسة هذا المذهب أدركت لماذا كنا نسمع في أوروبا وأمريكا.. أنه في كثير من الأحيان يهجر الابن أباه..وإذا قابله في مطعم فكل واحد منهما يحاسب عن نفسه..

فعلاً.. ما دام أني لن أستفيد منك.. فلماذا أخدمك؟! لماذا أنفق مالي؟! واصرف وقتي؟! وأبذل جهدي؟! دون مردود مادي يعود عليَّ..



الإسلام قَلَبَ هذا الميزان.. فقال الله تعالى:

﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] ..

وقال ﷺ: لئن امشي مع أخي في حاجة حتى أثبتها له.. أحب إليَّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً.. ومن كان في حاجة أخيه.. كان الله في حاجته..

وكان ﷺ يمشي في الطريق فتوقفه الجارية وتقول: لي إليك حاجة.. فيقف معها حتى يسمع حاجتها.. وقد يمضي معها إلى بيت سيدها ليقضيها لها..

(١) البقرة: ١٩٥

بل كان ﷺ يخالط الناس ويصبر على أذاهم.. كان يعاملهم بنفس رحيمة.. وعين دامعة.. ولسان داع.. وقلب عطوف.. كان يشعر أنه هوَ وهُمْ.. جسد واحد.. يشعر بفقر الفقير.. وحزن الحزين.. ومرض المريض.. وحاجة المحتاج..

انظر إليه ﷺ.. وقد جلس في مسجده يحدث أصحابه.. فإذا به يرى سواداً مقبلاً عليه من بعيد.. نظر إليهم.. فإذا هم قوم فقراء أقبلوا عليه من مُضَر.. من قِبَل نجد..

وكانوا من شدة فقرهم قد اجتابوا النمار.. يعني يملك أحدهم قطعة قماش فلا يجد ثمن الإبرة والخيط.. فيخرق القماش من وسطه ثم يخرج رأسه ويسدل باقيه على جسده..

أقبلوا قد اجتابوا النمار.. وتقلدوا السيوف..وليس عليهم أزر ولا شيء غيرُها.. لا عمامة ولا سراويل ولا رداء..

فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بهم من الجهد والعري والجوع.. تغير وجهه. ثم قام.. فدخل بيته الآخر.. وخرج.. يبحث.. يلتمس شيئاً لهم.. فلم يجد.. ثم راح إلى المسجد.. فصلى الظهر.. ثم صعد منبره.. فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال:

أما بعد.. فإن الله عز وجل.. أنزل في كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]

ثم قرأ.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2]

وجعل يتلو الآيات والمواعظ.. ثم صاح بهم.. وقال:

---

(١) النساء: ١

(٢) الحشر: ١٨

تصدقوا قبل أن لا تصدقوا.. تصدقوا قبل أن يحال بينكم وبين الصدقة.. تصدق امرؤ من ديناره.. من درهمه.. من بره.. من شعيره.. ولا يحقرن أحدكم شيئاً من الصدقة..

وجعل يعدد أنواع الصدقات حتى قال: ولو بشق تمرة..

فقام رجل من الأنصار بِصُرة في كفه.. فناولها رسول الله ﷺ وهو على منبره..

فقبضها رسول الله ﷺ يُعرَف السرور في وجهه.. وقال:

من سن سنة حسنة.. فعمل بها كان له أجرها.. ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيء.. ومن سن سنة سيئة.. فعمل بها.. كان عليه وزرها.. ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء..



فقام الناس.. فتفرقوا إلى بيوتهم..وجاءوا بصدقات.. فمن ذي دينار.. ومن ذي درهم.. ومن ذي تمر.. ومن ذي ثياب..

حتى اجتمع بين يديه ﷺ كومان.. كوم من طعام.. وكوم من ثياب..

فلما رأى ﷺ ذلك تهلل وجهه حتى كأنه فلقة من قمر.. ثم قسمه بين الفقراء..[١]

نعم.. كان ﷺ يدخل إلى قلوب الناس.. بقضاء حاجاتهم.. يصرف من جهده ووقته وماله لأجلهم..

لما سئلت (عائشة) عن حاله ﷺ في بيته.. قالت:

كان يكون في حاجة أهله.. أو في مهنة أهله..

أفلا تجعل من طرق دخولك إلى قلوب الناس.. قضاء حاجاتهم..

---

(١) رواه مسلم.



احتاج شخص إلى مستشفى.. فأوصلته إليه..

استعان بك في مشكلة فأعنته عليها..

يـراك تقضي حاجته.. وتقـف معه في كربته..
وهو يعلم أنك لا ترجو من ذلك جزاءاً ولا شكوراً..

فيحبـك ويدعو لك.. ويكون مسـتعداً لعونك لو أحتجت..

أحسن إلى الناس تسـتعبد قلوبهم فطالمـا اسـتعبد الإنسـان إحسـان

رؤية..



من عاش لغيره فسيعيش متعباً.. لكنه سيحيا كبيراً.. ويموت كبيراً..



لا تتكلف ما لا تطيق!!

كان صاحبي من خيار الناس.. خلقاً.. وديناً.. وعقلاً.. كان إمام مسجد بجانب بيته.. لكني كنت أسمع ذمه على ألسنة أناس كثيرين.. كنت أعجب من ذلك.. ولا أجد له جواباً.. حتى جاءني يوماً جاره..

- وقال: يا شيخ.. صاحبك.. لا يصلي بنا.. ولا معنا!!
- قلت: لم؟!!
- قال: لا أدري.. لكنه هو الإمام.. ومع ذلك يغيب كثيييراً عن المسجد..
- فجعلت ألتمس له الأعذار.. فقلت: لعله مشغول بأمر ضروري.. لعله غير موجود بالبيت..
- قال: يا شيييخ.. سيارته واقفة عند الباب.. وأنا متأكد أنه في بيته ومع ذلك لا يشهد معنا صلاة الجماعة وهو الإمام!!

جعلت أتقصى السبب لنصح صاحبي.. حتى وجدت السبب..

الرجل بحكم إمامته للمسجد.. يأتي إليه الناس ويلتمسون منه الإعانة في حاجاتهم.. هذا عليه دين يريد أن يبحث له عمن يسدده.. وهذا متخرج من الثانوية ويريد شفاعة لدخول الجامعة.. وهذا مريض يريد إعانته على دخول المستشفى الفلاني.. وهذا عنده بنات كبار ويريد لهن أزواج.. وهذا عليه إيجار لبيته لم يسدده.. وهذا أعطاه ورقة استفتاء في طلاق ليذهب بها للمفتي العام وهذا...

ويتتابع عليه أصحاب الحاجات وهو رجل عادي ليس له قدرات كبيرة ولا علاقات واسعة.. ولا وجاهة متميزة..



وكان المسكين يغلبه الحياء والخجل من كل أحد.. فلا يقدر أن يعتذر من أحد أبداً.. بل يأخذ معروض هذا ويعده بسداد دينه.. ويكتب رقم هاتف الثاني.. ويعده أن يقبل في الجامعة.. ويقول للثالث: تعال بعد يومين وتجد ورقة دخول المستشفى جاهزة.. وهكذا دواليك.. فيأتونه على الموعد.. ويعتذر.. ويعطيهم مواعيد أخرى.. حتى صار يتهرب منهم.. ولا يرد على هاتفه..

بل وأحياناً لا يخرج من بيته..!! وصار من يلقاه منهم.. إن وجده.. يسبه ويصرخ به.. ويردد: طيب لماذا تعدني.. لماذا تجعلني أبني الآمال عليك..

والثاني يقول : لم أكلّم إلا أنت.. وتركت غيرك لما وعدتني..



لما عرفت حاله.. ايقنت أنه حفر لنفسه حفرة.. ثم تردى فيها..

سمعته مرة يعتذر من أحدهم.. ويقول:

- آسف.. لم أستطع أن أفعل شيئاً في موضوعك..
- وذاك يقول بكل قوة: طيب أنت ضيعت الوقت عليّ.. ليتك أخبرتني من قبل..

تذكرت عندها قول الحكيم: الاعتذار في البداية خير من الاعتذار في النهاية..

ما أجمل أن يعرف المرء قدراته.. ويتحرك في حدود الدائرة المرسومة حوله.. والله تعالى يربينا على ذلك ويقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1]..

ويقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[2].. والنبي ﷺ نهى أن يكلف الرجل نفسه ما لا يطيق..

(١) البقرة: ٢٨٦
(٢) الطلاق: ٧

ولقد جربت ذلك بنفسي.. أذكر أني ألقيت محاضرة في أحد المجمعات العسكرية بالرياض.. وبعدها جاءني أحدهم وقال:

- يا شيخ أريدك في موضوع ضروري جداً..
- **قلت:** تفضل.. ما هو؟
- **قال:** لا.. ما يصلح أن أذكره الآن.. لابد أن أقابلك في وقت واسع..

جعل يُعَظِّم حجم الموضوع وأنا أستمع له بلطف.. وقد علمتني الحياة أن أكثر الناس يعطون الأمور أكبر من حجمها.. وصاحب الحاجة مجنون بها حتى تُقضى..

- **قال لي:** أظن لك محاضرة غداً في مدينة كذا.. **وهي مدينة على بعد ٢٠٠ كم من الرياض..**
- **قلت:** صحيح..
- **قال:** سآتي إليك هناك.. وأقابلك بعد المحاضرة..

تعجبت من حرصه.. وفعلاً.. خرجت بعد المحاضرة فخرج الرجل ورائي مسرعاً حافي القدمين.. يحمل ورقة صغيرة في يده.. وقفت معه جانباً..

- **قلت:** تفضل.. شكر الله حرصك.. وما حاجتك؟
- **قال:** يا شيخ.. عندي أخ يحمل الشهادة الإبتدائية.. وأريدك أن تدبر له وظيفة..
- **قلت:** بس؟!!
- **قال:** بس ؟!!

كان الرجل متحمساً.. ومنظره يثير الشفقة.. ويبدو أن أخاه يمر بظروف صعبة فعلاً.. أيقنت أني لو وعدته سأخلف.. فنحن في زمن لا يكاد حامل

البكالوريوس أن يجد وظيفة.. فما بالك بحامل الإبتدائية.. وأنا أعرف حدود قدراتي..

كان الموقف محرجاً بالنسبة إليَّ.. وتمنيت لو كان لي من الأمر شيء لأعين ذا الحاجة الملهوف.. ولكني – فعلاً – لا أملك له شيئاً.. أردت أن أعتذر بأسلوب عاطفي يناسب حاله وحماسه..



- **قلت:** يا أخي.. والله أتمنى أن أساعدك.. وأخوك أخي.. وأنا أتألم له كما تتألم.. لكني لا أستطيع مساعدتك أبداً.. أتمنى أن تتكرم عليَّ وتعفيني..
- **قال:** يا شيخ.. حاول..
- **قلت:** لاااا أقدر..

فناولني الورقة التي في يده.. وقال:

- طيب.. يا شيخ خذ هذه الورقة فيها أرقام هواتفنا.. إذا وجدت له وظيفة فاتصل بنا..

أدركت أنه يريد أن يربطني بحبل أمل.. وسيظل ينتظر الاتصال.. ويبقي الآمال ويتمنى.. ويُمنيّ أخاه..

- **فقلت:** بل دع الورقة معك .. وخذ رقمي أنت.. وإن وجدت أنت له وظيفة فاتصل بي.. لعلي أن أكتب لك شفاعة للمسئول فيها لقبوله..

سكت الرجل قليلاً انتظرت أن يودعني.. لكني تفاجأت أنه قال لي:

- بيض الله وجهك!! والله يا شيخ.. سبق أن كلمت الأمير... في موضوع أخي منذ سنة.. فأخذ الورقة.. ولم يتصل بي إلى الآن.. ومرة كلمت اللواء.... فأخذ الورقة أيضاً.. ولم يتصل ولم يهتم.. هؤلاء أناس ما يهتمون بالضعفاء.. الله ينتقم منهم .. الله...

وبدأ يدعو عليهم.. فقلت في نفسي.. الحمد لله.. لو أخذت الورقة لصرت ثالثهم..

نعـم.. الاعتذار في البداية خير من إخـلاف الوعد.. ما أجمل أن نكون صرحاء مع الآخرين.. عارفين لحدود قدراتنا.. وهذا ليس خاصاً فقط بحاجات الناس بل حتى الحاجات الصغيرة للزَّوجة والأولاد..

أحيانـاً عند خروجك مـن البيت.. تصرخ بـك زوجتك.. أحضر معـك حليباً.. وسـكراً.. وحفائظ.. وعشـاء... فانتبـه.. لا تردّد: طيب.. طيـب.. وأنت تعلم أنك لا تسـتطيع.. وإنما اصرخ بها أنت أيضـاً وقُلْ: مااااا أقدر..!! فهـي خير من الاعتذار عند العودة.. ضاق وقتي.. أقفلت المحلات.. نسيت...

وكذلك مع زملائك.. وإخوانك.. أرجو أن تكون الفكرة وصلت..

تجربة..



الاعتذار في البداية..
خير من الاعتذار في
النهاية..